استدعاء الذاكرة في رواية السيرة " حديث القبرة" لسعدي صباح أنموذجا

The Invocation of Memory in the Autobiographical Novel 'The Lark's "Tale' by Saadi Sabah: A Case Study

غربي كمال[1]

[1] جامعة تيسمسيلت(الجزائر)، kamel.gherbi@cuniv-tissemsilt.dz

مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة تيسمسيلت، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2025/01/29 تاريخ القبول: 2025/11/13تاريخ النشر : 2025/12/15

ملخص:

تتمتع الروايةُ بخصوبةٍ عاليةٍ في الاندماجِ مع الأجناسِ الأدبيةِ الأخرى كالسيرةِ الذاتيةِ، مما يُتيحُ لها التعبيرَ بعمقٍ، ويمكنُها من نقلِ التجاربِ الذاتيةِ بكلِّ واقعيةٍ،وفي روايةِ السيرةِ "حَدِيثُ القبَّرة "، يستدعي سعدي صباح الذاكرة ليفسِّرَ ويشرحَ لحظاتٍ من الماضي، ويعيد صياغةَ تجربتِهِ الحياتية ليفهمَ المتلقي بعمقٍ فحوى هذه التجربة. لذلك، تسعى هذه الدراسة إلى الكشفِ عن مفهومِ الذاكرةِ، ومفهومِ الروايةِ السيريةِ، وتمثلاتِ الذاكرةِ في روايةِ السيرةِ "حَدِيثُ القبَّرة " لسعدي صباح .

كلمات مفتاحية: الذاكرةُ؛روايةُ السيرةِ؛حديثُ القبّرة؛سعدي صباح.

Abstract:

The novel demonstrates a high degree of richness in integrating with other literary genres, such as autobiography, allowing it to express profound ideas and convey personal experiences with remarkable realism. In the autobiographical novel "The Lark's Tale", Saadi Sabah invokes memory to interpret and explain moments from the past, reshaping his life experiences to provide the reader with a deeper understanding of their essence. Therefore, this study aims to explore the concept of memory, the notion of autobiographical fiction, and the manifestations of memory in Saadi Sabah's "The Lark's Tale."

Keywords: Memory; Autobiographical Novel; The Lark's Tale; Saadi Sabah.

المؤلف المرسل: غربي كمال، **الإيميل**: kamel.gherbi@cuniv-tissemsilt.dz

1.مقدمة :

تعتبر الرّواية السّير ذَاتِيَّةُ شكلا من الأشكال الأدبيَّة الَّتِي يجمع فيها الكاتب بينَ السَّرد الذَّاتِيّ وتجسيد التَّجربة الشَّخصيَّة عبر آليَّةالذَّاكرة، الَّتي تُعَدُّ من العناصر الأساسيَّة في إعادة تشكيلِ السَّرد واسترجاع التَّجارب الذَّاتِيَّةِ. حيث إِنَّهَا لَا تَقتصِرُ على ذلك فقط، بل تتعدَّاه لتصبحَ أَدَاةً لطرح تساؤُلَاتٍ تتعلَّق بالذَّات والماضي والحاضر، وحتَّى العلَاقات الَّتِي تربط الفرد بالمجتمعِ.

وفي الرّوايةِ السّيرِيَّةِ "حَدِيثُ القبَّرة " للروائيّ "سعدي صباح"، تتمثَّل الذَّاكِرَةُ بكلِّ أبعادهَا مشكِّلةً نصًّا يربِطُ بينَ الماضي والحاضرِ، مستعينًا بالذَّاكرة لإحياء الماضي واسترجاعِ تجاربه الشَّخصيَّة ولحظات الألم والمعاناةِ الَّتِي عاشها الفرد والمجتمع. فتظهر لنا الذَّاكِرَةُ هنا ليست مجرَّد وسيلةٍ للتَّذكُّر، بل أَدَاةً لفهم الذَّات وإعادة تقييمِ الأحداث والتَّجارب الَّتِي مرَّ بهَا الكاتب.

تهدف هذه الدِّراسة الموسومة: "استدعاء الذَّاكِرَة في رِوَايَةِ السِّيرَةِ "حَدِيثُ القبَّرة " لِسَعْدِي صَبَاحأنموذجا" إلى الكشف عن تمثُّلِات استدعاء الذَّاكِرَة في الرِّوَايَةِ السِّيرِيَّةِ "حديثُ القبَّرة "، وإظهار دور الذَّاكِرَة في تشكيلِ الهُوِيَّة وعرض التَّجارب الذَّاتِيَّةِ والجماعيَّة. وقبلَ التَّعمُّق في البحثِ في هَذَا المجَالِ، كان من الضَّروريّ الوقوفُ عند المفاهيم الَّتِي تناولناها فِي درَاستنا هذه: وهي مفهوم الذَّاكِرَة ومفهوم الرّوايَة السّيرِيَّةِ. وهنا يمكننا طرح الأسئلة التَّالية:

- مَا مفهوم الذَّاكِرَة؟
- مَا مفهوم الرّوايَةِ السّيرِيَّةِ؟
- كيف تمثَّلت الذَّاكِرَةُ في رِوايَةِ السِّيرَةِ "حديثُ القبَّرة " لِسَعْدِي صَبَاح؟

وتتجلَّى أَهَمِّيَّةُ هذا البحث في إبرَاز قدرة النَّصِّ السَّرْدِيّ السِّيرذَاتِيّ على تَوظيف الذَّاكرةِ دَاخلهُ.

2.مفهومُ الذاكرةِ:

1.2 في اللُّغَةِ:

الذَّاكرةُ لفظةمشتقَّة من الفعل الثُّلَاثِيّ (ذَكَرَ)، وَقد جاءَ فِي مُعجم الوَسيطِ على أَنَّها "قدرَة النَّفْسِ على الِاحتِفاظِ بِالتَّجاربِ السَّابقةِ واستعادتِهَا"(ابراهيم و آخرون، د ت، صفحة 313).

كَما وردَت لفظَة "الذَّاكرة" فِي مُعْجَمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المعَاصِرَة بِأَنَّهَا "صِيغَةُ المؤَنَّثِ لِلْفِعْلِ (ذَكَرَ) بِمَعْنَى قُدْرَةِ النَّفْسِ عَلَى الِاحْتِفَاظِ بِالتَّجَارِبِ وَالمعْلُومَاتِ السَّابِقَةِ فِي الذِّهْنِ وَاسْتِعَادَتِهَا." مِثَال: لَدَيْهِ ذَاكِرَةٌ حَادَّةٌ –بَقِيَ فِي ذَاكِرَةِ النَّاسِ. إِنْ لَمْ تُغَنِّي الذَّاكِرَةُ: إِذَا لَمْ أَنْسَ. خَلَلٌ فِي الذَّاكِرَةِ / قُصُورٌ فِي الذَّاكِرَةِ: ضَعْفٌ أَوْ نَقْصٌ فِيهَا. ذَاكِرَةٌ بَصَرِيَّةٌ: قُوَّةٌ عَقْلِيَّةٌ يَحْفَظُ بِهَا الإِنْسَانُ فِي ذِهْنِهِ كُلَّ مَا يُبْصِرُ. ذَاكِرَةٌ حَافِظَةٌ: قُدْرَةٌ عَلَى اسْتِبْقَاءِ الأَشْيَاءِ فِي الذِّهْنِ. مَطْبُوعٌ فِي الذَّاكِرَةِ: لَا يُمْكِنُ نِسْيَانُهُ"(عمر، 2008، صفحة 815).

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، نَجِدُ أَنَّ لَفْظَةَ (الذَّاكِرَةِ) قَدْ وَرَدَتْ فِي "المعَاجِمِ الأَجْنَبِيَّةِ"، حَيْثُ عَرَّفَهَا مُعْجَمُ كَامْبْرِيدْج (Cambridge)بِأَنَّهَا: "القُدْرَةُ عَلَى التَّذَكُّرِ"، كَمَا جَعَلَهَا مُرَادِفَةً لِلذِّكْرَى"(رملة ، 2021/2022، صفحة 30).

الوَاضِحِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ اللُّغَوِيَّةِ لِلَفْظَةِ (الذَّاكِرَةِ) أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الفِعْلِ (ذَكَرَ)، وَتَعْنِي التَّذَكُّرَ وَالاسْتِحْضَارَ؛ أَيْ تَشِيرُ إِلَى القُدْرَةِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي تُمَكِّنُ الفَرْدَ مِنِ اسْتِرْجَاعِ المعْلُومَاتِ وَالتَّجَارِبِ وَالأَحْدَاثِ الَّتِي جَرَتْ لَهُ فِي مَرْحَلَةٍ مَضَتْ.

2.2 في الاصطِلاحِ:

تُعَدُّ الذاكِرَةُ عُنصرًا أَساسيًّا في تجرِبة حَياة الإنسَان لِمَا لَهَا من عَلاقةٍ بينَ الْمَاضِي وَالْحَاضر، وَتُسهم في منح الإنسَان القدرة على استدعاءِ التَّجَارب والأَحداث الْمَاضية. لِذَلك، تُعَدُّ مَحورًا يَقوم عليه الأَدبُ وَالنَّقدُ، وَأَدَاةً يَستند إِليهَا الكتَّاب في تشكيلِ وبناءِ النُّصُوص السَّرْدِيَّة والعمل على تحليل الهُوِيَّة. وَيُعَرِّفُ سانتروك [**Santrock**] الذاكِرَةَ بأَنَّها "عمليَّةُ الاِحتفاظِ بالمعلومَات عبرَ الزَّمن من خلال ترميزها وتخزينها واسترجاعها"(طارق و إيهاب ، 2020، صفحة 21).

كَما يُعَرِّفها أَيضًا محمَّد قاسم عبد الله بِأَنَّها "القدرة على التَّمثُّل الاِنتقائيّ للمعلومات الَّتِي تُمَيِّزُ بشكل فريد خِبْرَةً مُعَيَّنَةً، والاِحتفاظ بتلك المعلومات بطريقةٍ منظَّمةٍ في بنيةِ الذاكِرَةِ الحاليَّةِ، وإِعادةُ إِنتاجِ بعض أو كلِّ هذه المعلومات في زمنٍ مُعَيَّنٍ فِي المستقبل، وذَلِكَ تحت ظروفٍ أو شروطٍ محدَّدةٍ"(بوشعيب، 2017، صفحة 199) ، لِذَلك، لَا تُعَدُّ الذاكِرَةُ مُجَرَّدَ وعَاءٍ لتخزين المعلومات فقط، بل هيعَمليَّةٌ مُعقَّدةٌ تقومُ على

التَّخزين والاِنتِقَاءِ والاِسترجاعِ حسب الظُّرُوفِ المحيطةِ الَّتِي مَرَّ بها الفرد، فالذَّاكِرَةُ تمكِّن الأَفراد من فهم تجاربهم والتَّفاعلِ معا بشكلٍ أفضل.

أَمَّا أندرسون [**Anderson**] فقد عرف الذاكِرَةَ "بأَنَّهَا دراسة عمليَّات استقبال المعلومات والاِحتِفاظِ بها واستعادتها عند الحاجة"(طارق و إيهاب ، 2020، صفحة 21) ، فالذَّاكِرَةُ بنسبة له عمليَّة معقَّدة تقوم على التَّفاعل، وذلك باستقبال المعلومات، والعمل على معالجتها واسترجاعها عند الحاجة، وهذا ما يسهم فِي التَّعلُّم والتَّكيُّف مع المحيط والمواقف المختلفة.

من خلال كلِّ هذه التَّعريفات الاِصطلاحيَّة، يتَّضح لنا أَنَّ "الذَّاكِرَةَ" هي عمليَّة معقَّدة تقوم على استِقْبال المعلومات من محيط الفرد ثمَّ تقوم بمعالجتها وترتيبها والعمل على تخزينها ليتمَّ استرجاعها عندما يتطلَّب الأَمرُ ذلك. وتكمن أَهَمِّيَّةُ الذاكِرَةِ فِي الدَّور الحيويِّ الَّذي تقوم به، وهو التَّعلُّم والاِندماج مع المحيط.

3.مفهوم الرِّواية السِّيرِيَّةِ:

تُعدُّ الرِّوَاية السِّيرِيَّةُ من بينِ أَهمِّ الأجناسِ الأدبيَّةِ الَّتِي تُصوِّرُ تَجَارِبَ الفرد وقضاياه ومواقفهفِي الحياة، لذلك نجدها قد لَاقتِ اهتمامًا واسعًا من قِبَلِ النُّقَّادِ والباحثين، وهذا راجعٌ لقدرتها على المزج بين السِّيرَةِ الذَّاتِيَّةِ والخيال، وإِسهامها فِي الكشفعن العوالم الدَّاخليَّة والخفيَّة للشَّخصيَّات وتحليل مستوياتها النَّفسيَّة والاجتماعيَّة. وهذا ما تؤَكِّده "رشا عدلي" في تعريفها للرِّوايةِ السِّيرِيَّةِ حيث ترى أَنَّهَا "من أحدث أنواع الأجناس الأَدبيَّة الَّتِي ظهرت أخيرًا، وهي مزجٌ بينَ الواقعيَّة والمصداقيَّة الَّتِي يحتمها أدب السِّيْرَةِ الذَّاتِيَّةِ والخيال، الَّذي هو إِحْدَى ركيزات الرِّوَايَةِ، وامتزاجهما معًا نتج عنه أدب أكثر جمالًا وجاذبي، فقد أتاحَ للكَاتب أن يصوغ حياته بشكل أكثر إثارةً، وفي الوقت نفسهِ لَا يخرُج عن إطارهِ من الواقعيّة"(رشا، 2017) ، فهذا الجنس الأَدبيُّ في نظرها فرصة للكتَّاب في صياغة تجاربهم بأسلوبٍ فنِّيٍّ جماليٍّ يجمع بينَ الواقعِ والخيال، وهذا ما يجعله مُمَيَّزًا في عالم الأدب.

كَمَا يُعَرِّفُ صابر عبيد الرِّوَايَةَ السِّيرِيَّةَ بِأَنَّهَا "عمل سرديٌّ روائيٌّ يستند في مدونته الرّوائيَّة على السِّيْرَةِ الذَّاتِيَّةِ للرّوائيّ، حيث تعتمد الحادثة الرّوائيَّة في سياقهَا الحكائيّ اعتمادًا شبْهَ كلّيٍّ على واقعةٍ سيرةٍ ذَاتِيَّةٍ واقعيَّةٍ. تكتسبُ صِفتها الرّوائيَّةَ بدخولها في فضاء المتخيَّل السَّرديّ، على النَّحو الَّذي يدفع كاتبها إلى

وضعِ كلمة رِوَايَةٍ على غلاف الكتاب في إشارةٍ أجناسيَّةٍ ملزِمة للقارئ وموجَّهة لسياسته القرائيّة النَوْعِيّة"(فاطمة الزهراء، 2021، الصفحات 815-814) ، ويبدو أَنَّ "صابر عبيد" و"رشا عدلي" يتَّفقان معا في أَنَّ الرِّوايةَ السِّيرِيَّةَ عملًا أدبيًّا يقوم على المزج بينَ الواقعِ والخيال، وأَنَّ هذا الأسلوب يساعدُ الكاتب على تمرير تَجاربه الحياتيَّة، ويجعل من عمله هذا نوعا مُمَيَّزًا ويعطيه بعدًا أدبيًّا فنّيًّا.

4.تمثلات الذاكرةُ في روايةِ السيرةِ " حديثُ القبّرة " لسعدي صباح:

تَشتَغِلُ الذّاكرةُ في الرّوايةِ السّيرِيّةِ كَآليَةٍ مَركَزِيَّةٍ في تَشكيلِ السَّردِ، حَيثُ يُبنى النَّصُّ السَّرديُّ من خِلالِ استرجاعِ الكاتِبِ لتَجارِبِهِ الحياتيّةِ السَّابِقةِ التي عايَشَها. تَأخُذُ الذّاكرةُ أبعادًا مُختلِفةً في الرّوايةِ السّيرِيّةِ، وتَتَجَسَّدُ بِحَسَبِ ما عايَشَهُ الكاتِبُ واستحضَرَهُ في كِتابَتِهِ السَّرديّةِ، مُعَبِّرًا عن تَجربَتِهِ الإنسانيَّةِ.

يُقدِّمُ "سَعْدِي صَبَاح" من خِلالِ روايتِهِ السّيرِيَّةِ "حَدِيثُ القُبَّرَة " رُؤيةً مُتَعَدِّدَةَ الأبعادِ لِحُضورِ الذّاكرةِ في مَنجَزِهِ السَّرديّ، حَيثُ يَعكِسُ العَلاقةَ المعَقَّدَةَ بَينَ الفَردِ والمجتَمَعِ؛ أي بَينَ الماضِي والحاضِرِ. تَتَشابَكُ الذّكَرَيَاتُ لِتعكِسَ أبعادًا مُختلِفَةً حَوْلَ المعاناةِ الإنسانيَّةِ والتُّراثِ الثَّقافيّ. وَيمكنُ عَرْضُ تَمَثُّلاتِ الذّاكرةِ في الرّوايةِ السّيرِيَّةِ "حَدِيثُ القُبَّرَة "كَالآتي:

1.4. الذَّاكِرَةُ التَّارِيخِيَّةُ:

اعتمدَ الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" على آليَّةِ "الذاكرة" بغيةَ التَّنقُّلِ بنا بينَ أزمنةٍ مُختلِفَةٍ وأماكنَ متنوّعَةٍ، وذلكَ من أجلِ تجسيدِ الأحداثِ التاريخيَّةِ الثَّوريَّةِ في الذاكرةِ الجماعيَّةِ، ممَّا يُتيحُ للقراءِ معايشةَ الآلامِ والجرحِ الوطنيِّ التاريخيِّ الذي ما زالَ ينبضُ في ذاكرةِ الروائيِّ "سعدي صَبَاح". حيثُ يُعيدُ عَرضَ هذه الأحداثِ التاريخيَّةِ التي تكشفُ عن العلاقةِ الممزوجةِ بينَ التاريخِ والهويةِ، مؤكدًا من خلالها أنَّ الماضي ليسَ مُجرَّدَ وقائعَ مُنتهيةِ الصَّلاحيَّةِ، بل هو شاهدٌ حيٌّ يُؤثِّرُ في مساراتِ الفردِ والمجتمع.

ومن بينَ الأحداثِ التاريخيَّةِ التي جسَّدَها الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" في روايتِه "حَدِيثُ القُبَّرَة "، وحشيَّةُ وظلمُ المستعْمِرِ الفرنسيِّ على الشَّعبِ الجزائريِّ، الذي عانى الويلاتِ منه، وسَبَّبَ له حالةً من الهَلَعِ والخوفِ والقلق. حيثُ يقولُ الراوي: "ومع ذهابنا رأينا شاحناتٍ عسكريَّةً رابضةً أمامَ بيتِ جارِنا بوذينة. وهو الحدثُ العاديُّ وغيرُ العاديِّ والمرعبُ هو تحريضُ كلابِهم المجنونةِ الشَّرسةِ وهي تسحبهُ من زقاقٍ إلى آخر،

وتمزقُ ملابسه الرَّثَّةَ وتنهشُ لحمهُ بشراسة. فرجعنا إلى بيتِنا وجلين، فنَهَرَنا أبي قائلًا: لا خوفَ عليكما، هؤلاء عسكرُ فرنسا وجارُنا بن يوسفَ هداه الله طالقُ العنانِ للسانه، ويمكنُ أن يكونَ قد وَشى به أحدُ أقاربه، فأقنعنا وتلاشى الوجل."(سعدي، 2020، صفحة 15)

حيثُ يُعكِسُ لنا الراوي من خلالِ هذا المقطعِ السرديّ الممارساتِ الوحشيةَ التي كان يُمارسُها الاستعمارُ الفرنسيُّ على الشَّعبِ الجزائريّ وما خلفَه في ذاكرةِ الراوي من خوفٍ وقلق. فذِكْره للتهجمِ العساكرِ الفرنسيةِ على جارِه بالكلابِ الشرسةِ يدلُّ على القسوةِ والإرهابِ الذي يُمارسه الاستعمارُ الفرنسيُّ على الشَّعبِ الجزائريّ. " فالذاكرةُ في هذا المقطعِ لم تنقلْ ما وردَ في سجلاتِ التاريخِ من وقائعَ وأحداثٍ، وإنما اعتمدتْ على ما ترسَّخَ في الذاكرةِ الجماعيَّةِ كي تبقى هذه الأحداثُ حيَّةً ومدرَكَةً لدى الجميع. وبهذا تتجسدُ وظيفةُ الذاكرةِ في حفظِ الماضي، كونَها حوضَ الكائنِ الذي تتجمعُ فيه كلُّ الصورِ العقليةِ والفعليةِ والماضيةِ والحاضرة. فهي عصبُ التاريخِ الذي يحضرُ فيه الغياب."(شفيقة، 2021، صفحة 197)

كما ينقلُ لنا الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" الظروفَ التي عاشها المجتمعُ الجزائريُّ من مضايقاتٍ وإزعاج، وكسرٍ لحرمةِ البيتِ باقتحامه من قِبَلِ الجنودِ الفرنسيينَ بحثًا عن المجاهدين، مما يُعدُّ انتهاكًا وإزعاجًا سبَّبَ جُرحًا عميقًا لكرامةِ العائلةِ الجزائرية. يقولُ الراوي: "أنجبت والدتي أختًا سمتها مسعودة، والدورياتُ العسكريةُ بدأت تُسبِّبُ لنا بعضَ الإزعاج، تفتشُ عن الفلاقةِ بتعبيرهم، وهم المجاهدون، التزمَ أبي المكانَ بكلِّ الصبرِ والتجلُّد"(سعدي، 2020، صفحة 13) ، يتضحُ من خلالِ هذا المقطعِ السرديّ المعاناةُ التي كانت تعانيها العائلاتُ الجزائريةُ، ويبرزُ لنا قوةَ وصبرَ "الأب" الجزائريّ على المضايقاتِ التي تسببَ بها المستعمرُ الفرنسيُّ، كما أكدَ لهم تماسكَه بالوطنِ والهويةِ الوطنية. فلقد تركتْ هذه الأحداثُ في ذاكرةِ الراوي مزيجًا بينَ الألمِ والمعاناةِ والأملِ في المقاومةِ والدفاعِ والنضالِ من أجلِ الحريةِ واستقلالِ الوطن.

وفي مقطعٍ سرديّ آخر، يظهرُ الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" ما خلفَه الاستعمارُ الفرنسيُّ من قلقٍ وخوفٍ في نفسيةِ الراوي، حيثُ يقولُ: "رغمَ الوساوسِ التي سكنتني رغمَ صغري من عساكرِ الغاشم، إلا أنني كنتُ أفكرُ في زهرةِ الجامع"(سعدي، 2020، صفحة 18) . ففي هذا المقطعِ السرديّ، يظهرُ لنا القهرَ والقلقَ

الذي سبَّبَه الاستعمارُ في نفسيَّته، وما جسَّده في ذاكرته من قهرٍ وألمٍ وخوفٍ. فهذه الأحداثُ قد شكلتْ جزءًا من ذاكرةِ الروائيّ، والتي ظلت ماثلةً في ذهنه على الرغمِ من صغرِ سنِّه.

واستطاعَ الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" أن ينقلَ عبرَ الذاكرةِ من زمنٍ إلى زمنٍ آخر، حيثُ نقلنا إلى زمنٍ مهمٍ في تاريخِ الجزائر، وهو زمنُ قربِ الاستقلالِ ونيلِ الحرية. فيقولُ: "رأيتُ أبي جيئةً وذهابًا يراقبُ التيساف، لا أدري ما ينتظرُ من أخبار، وفجأةً هرعَ إلى دارِ النوالة، وهمسَ لها فولولتْ ولولةً باهتةً خافتة؛ لم أفهمْ حتى همستْ لي أختي الضاوية بوقفِ إطلاقِ النارِ والهدنةِ واقترابِ الحرية"(سعدي، 2020، صفحة 20) ، فالروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" يُظهرُ لنا عبرَ هذا المقطعِ السرديّ كيفَ تحفظُ الأحداثُ المهمةُ في الوعي، وكيفَ تتداخلُ الأحداثُ الذاتيةُ بالسياسيَّةِ والاجتماعية. فالذِّكرى التي تحدثَ عنها هنا ليستْ لحظةً تعيشُها الأسرةُ فقط، بل هي جزءٌ من الذاكرةِ الجماعيَّة، حيثُ تمتزجُ فيها الصراعُ والمقاومةُ والانتظارُ والأملُ لنيلِ الحريةِ والاستقلال.

2.4. الذَّاكِرَةُ الشَّعْبِيَّةُ:

تُشيرُ الذاكرةُ الشَّعبيَّةُ إلى المخزونِ الجماعيّ من التَّجارِبِ الحياتيَّةِ التي عاشَها الإنسانُ، مُعَبِّرةً عن هويَّتِهِ الثَّقافيَّةِ والاجتماعيَّة. وتَشْمَلُ العاداتَ والتَّقاليدَ، والحكاياتَ، والأمثالَ... فالذاكرةُ الشَّعبيَّةُ الجماعيَّةُ" هي ما حَفِظَتْ لنا التُّراثَ المتواتِرَ مُنذُ طُفولةِ البشريَّةِ الأولى، وهو الفولكلورُ. ولِلذاكرةِ الشَّعبيَّةِ – تحتَ تأثيرِ العادةِ والتَّوارثِ – حُضورُها وإعجازُها لمن خَبَرَ التَّعاملَ معها؛ ذلك أنَّها مخزونٌ متواتِرُ الحلقاتِ، تَحفظُ أَدقَّ دَقائِقَ شِعائرِ وممارساتِ الولادةِ والموتِ الأولى إلى أيامِنا، بنفسِ درجةِ حِفظِها لما يُصاحِبُ التَّنفُّسَ والتَّثاؤبَ"(شوقي، 2015، صفحة 09) ، فالذاكرةُ الشَّعبيَّةُ الجماعيَّةُ هي ذاكرةٌ غيرُ رَسْمِيَّةٍ تَعكِسُ تَجارِبَ التُّراثِ الثَّقافيّ لمجتمعٍ مُعيَّنٍ، وتَنقَسِمُ هذه الذاكرةُ التراثيَّةُ إلى قَسْمَيْنِ: تُراثٍ ماديٍّ وتُراثٍ لا ماديٍّ.

لقد أبدَعَ الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" في تَجسيدِ الذاكرةِ الشَّعبيَّةِ في رِوايتِهِ "حَدِيثُ القُبَّرَة " مُستندًا إلى الموروثاتِ والحكاياتِ الشَّعبيَّةِ التي تُعَبِّرُ عن الهويَّةِ الثَّقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ، حيثُ جعلَ من الذاكرةِ الشَّعبيَّةِ أساسًا لسَرده في رِوايتِهِ "حَدِيثُ القُبَّرَة "، وهذا ما أَعطى لنصوصِه السرديَّةِ بُعدًا ثقافيًّا وتاريخيًّا وجماليًّا مُتجذِّرًا في التُّراثِ.

ومن بينَ ما استدعى الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" من ذاكرةٍ شعبيَّةٍ في رِوايتِهِ "حَدِيثُ القُبَّرَة " التُّراثَ الماديَّ الذي يَشْمَلُ الطَّعامَ واللِّباسَ والعُمَرانَ والأدواتَ... بالإضافةَ إلى التُّراثِ اللامادِيِّ الذي يَشْمَلُ الأَمثالَ والعاداتِ والتَّقاليدِ والمُعْتَقَداتِ الشَّعبيَّةِ... وغيرِها.

حيث استدعى الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" أهمَّ طبقٍ شعبِيٍّ تقليديٍّ تميَّزَ به الشعبُ الجزائري، وهو "البربوشة". وتُعتبرُ البربوشةُ نوعًا من الكُسُكس، وهي تُصنعُ من القمحِ أو الشعيرِ، وتُطهى على البخار. فيقولُ الروائيُّ: "وكانَ عشائي من أول ليلةٍ معَ الدراويشِ وطعمةِ الطلبةِ البربوشةَ بالزيتِ النباتِيِّ والحليبِ الاصطناعيِّ، وتلك هي عيشةُ ذلك الزمنِ ببساطته "(سعدي، 2020، صفحة 41)

كما استدعى الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" من الذاكرةِ الشعبيةِ اللباسَ التقليديَّ الذي يُعدُّ جزءًا من الهويةِ الثقافيةِ، إذ يُعبرُ عن ثقافةِ مجتمعٍ معينٍ. وهو يختلفُ من بلدٍ إلى بلدٍ وحتى من منطقةٍ لأخرى، إذ نجدُ الروائيَّ يقولُ في ذلك: "وبعدَ أسابيعَ عيَّنوا لها مديرًا بالأقدميَّةِ لا علاقةَ له بالإدارةِ، يلبسُ العباءةَ والشاشَ"(سعدي، 2020، صفحة 126) ، والمقصودُ بالعباءةِ والشاشِ هما لباسٌ تقليديٌّ يلبسه الرجلُ، حيث يُقصدُ بالشاشِ قطعةُ قماشٍ تُستخدمُ لتغطيةِ الرأسِ، أما العباءةُ فهي رداءٌ طويلٌ يُلبسُ فوقَ الملابسِ العاديةِ، وهما يُعتبرانِ رمزًا للهويةِ الثقافيةِ والتقاليدِ .

من جهةٍ أخرى، استدعى الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" أدواتٍ تراثيةً ثقافيةً تُستخدمُ في التعليمِ وتحفيظِ القرآنِ الكريمِ، حيث يقولُ: "أجلسنا على الحصيرِ وانتشلَ منا اللوحتينِ، وشحذهما بالصلصالِ وكتبَ عليهما خربشاتٍ لم نفقه فيها شيئًا، وبدأَ بالتلقينِ والمشحاطِ في يده: أ، ب، ت، ث، خ... إلخ"(سعدي، 2020، صفحة 16) ، حيث يستذكرُ الروائيُّ الأدواتَ التي أُستخدمتْ للتعليمِ وتحفيظِ القرآنِ في الزمنِ الذي كان يُدرسُ فيه. وهذه الأدواتُ تتمثلُ في الحصيرِ، واللوحِ، والصلصالِ، والمشحاطِ. إذ يُشيرُ بالحصيرِ إلى البساطِ الذي يُستخدمُ للجلوسِ للتعليمِ، أما اللوحُ فهو وسيلةٌ للكتابةِ عليه للحفظِ، وأما الصلصالُ فهو مادةٌ تُستخدمُ للمحوِ عندَ حفظِ ما كُتبَ على اللوحِ، فحين يُشيرُ المشحاطُ إلى أداةٍ تُستخدمُ للضربِ للذين لم يهتموا بالحفظِ أو صدرَ منهم خطأٌ في الكتابةِ.

أما في استدعائه للذاكرةِ الشعبيةِ اللاماديةِ، فإنه استدعى ظاهرةً من مظاهرِ العاداتِ والتقاليدِ وهي "الرحبة"، والمقصودُ بها مساحةٌ يجتمعُ فيها الناسُ لأغراضٍ كثيرةٍ، منها الغرضُ التجاريُّ والاجتماعيُّ والثقافيُّ. وهي تُقامُ لتبادلِ الأفكارِ والآراءِ، وهي تُسهمُ في بناءِ المجتمعِ وتعزيزِ الروابطِ بين الأفرادِ. ويقولُ الروائيُّ في ذلك: "مساءَ من يومِ الاثنينِ أزورُ الرحبةَ؛ أتنزَّهُ على حكاياتِ الشيخِ القندوزِ، عن البطولاتِ الهلاليةِ وأغانيهِ الصحراويةِ "(سعدي، 2020، صفحة 44).

ويستدعي الروائيُّ من الذاكرةِ الشعبيةِ كذلك المثلَ الشعبيَّ الذي يُعدُّ "عصارةَ التجربةِ الإنسانيةِ في أقلَّ عددٍ من الكلماتِ التي لا يمكنُ أن يُضربَ إلا بها، هو دليلُ المواقفِ ومعجمُ الإنسانِ والخطُّ الفاصلُ بينَ الجهلِ والمعرفةِ، كما أنه لا يُفهمُ في الغالبِ إلا عن طريقِ تمثيلِ قصةٍ أو استدعاءِ أحداثٍ، لأنه يُعتبرُ الصيغةَ الأصغرَ لحكايةٍ طويلةٍ تنتهي بعبرةٍ تكررتْ نتيجتُها أمامَ مرأى الناسِ مراتٍ متعددة"(مُحَمَّد، 2021، صفحة 162) ، حيث يقولُ الروائيُّ في ذلك: "جا الفأسُ في الرأسِ"(سعدي، 2020، صفحة 162) ويُضربُ هذا المثلُ على الشخصِ الذي يقعُ في مشكلةٍ ولا يجدُ لها مخرجًا. كما يستدعي مثلًا آخرَ من الذاكرةِ الشعبيةِ حيث يقولُ الروائيُّ: "الناسُ لاهيةٌ بالناسِ والكلبُ لاهي بالرأسِ"(سعدي، 2020، صفحة 21)، ويُضربُ هذا المثلُ للتعبيرِ عن اهتماماتِ الناسِ حسبَ مكانتِهم ومدى تقديرِهم لأنفسِهم، حيث يظهرُ أن الأشخاصَ العامةَ الساذجينَ يهتمونَ بأمورِ الناسِ، بينما الأشخاصُ الأذكياءَ ينشغلونَ بالأمورِ التي لها أهميةٌ لهم.

كما استدعى أيضًا الروائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" من الذاكرةِ الشعبيةِ ظاهرةً من العاداتِ والتقاليدِ وهي "الحضرة"، وهي من الطقوسِ الدينيةِ أو الاجتماعيةِ التي يتمُّ فيها التواصلُ الروحيُّ من خلالِ الأناشيدِ والقائدِ والرقصاتِ، وهي تُقامُ في الزوايا وتُعدُّ تعبيرًا عن الهويةِ الثقافيةِ والدينيةِ. ويجسدُ هذه الذاكرةَ من خلالِ هذا المقطعِ السرديِّ: "كانت تُقامُ الحضرةُ كلَّ ليلةِ جمعةٍ، ونحن الطلبةُ لنا حقُّ الدخولِ لحلقةِ النساءِ ولا أحد يتحدثُ عنا، عمرُ البندارِ يضربُ على الدفِّ وآخرُ يعزفُ على القصبةِ"(سعدي، 2020، صفحة 45) ، فالروائيُّ من خلالَ هذا المقطعِ السرديِّ يستذكرُ مشهدًا من التراثِ الشعبيِّ الذي يُعبرُ عن "الحضرة" كيف كانت تُقامُ في الزوايا التي كان يتعلمُ بها وكيف كانت الأجواءُ هنا.

3.4. ذَاكِرَةُ الأَلَمِ وَالمُعانَاةِ:

تُعَدُّ ذاكرةُ الألمِ والمعاناةِ في النُّصوصِ السَّرديَّةِ، وخاصةَ السيرةِ الذاتيَّةِ، عُنصرًا مُهِمًّا وفعَّالًا في استدعاءِ تجاربِ الألمِ والمعاناةِ، سواءً كان ذلك على المستوى الفرديِّ أو الجماعيِّ. تصبحُ الذاكرةُ هنا وسيلةً في الروايةِ السيريَّةِ لاسترجاعِ لحظاتِ الألمِ والمعاناةِ وتوثيقِها، لأنَّ الألمَ يرتبطُ "ارتباطًا وثيقًا بالحياةِ البشريةِ؛ فهو معطًى من معطياتِها التي لا يُمكنُ -في أيِّ حالٍ من الأحوالِ-الانفلاتُ منها"(رملة ، 2021/2022، صفحة 71) ، والروائيُّ سعدي صباح واحدٌ من الروائيين الذين جسَّدوا ذاكرةَ الألمِ والمعاناةِ في نُصوصِهم السرديَّةِ، سواءً كان هذا الألمُ معنويًّا أو جسديًّا.

حيث نجدُ أنَّ روائيَّ "سَعْدِي صَبَاح" يستدعي حدثًا من ذاكرتِهِ يُجسِّدُ ألمَ ومعاناةَ المرأةِ من قِبلِ السلطةِ الذكوريةِ التي تحدُّ من حريتها تحتَ سلطةِ الأعرافِ والتقاليدِ والعصبيَّةِ القَبَليَّةِ، التي تفرضُ على المرأةِ عدمَ إبداءِ رأيها أو رغباتها، ولا بدَّ لها ألا تعصي أوامرَ الرجلِ مهما كلَّفَها الأمرُ. حيث يقولُ: "ولما راحت لزيارةِ أهلِها أَمَرَها بأن تعودَ في الحالِ وألّا تمكثَ طويلاً، إلاّ أن والدَها نَهَرَها فتراجعت وباتت عندَ أهلِها بخيمتِهم السوداءِ المهللةِ، فاستشاطَ جدي غضبًا بعدما خالفته وباتت على الجمرِ وليس لها يدٌ في ذلك. ومع البكورِ حملَ مكحلته القديمةَ من صنعِ روسيٍّ في جوفِها خراطيش (عين الجربوع) -هكذا يُسمَّى في ذلك الوقت -وحدثَ بينه وبين صهرِه الديحاري اختلافٌ في أمرِ المبيت، ثم خلافٌ حادٌ، فهدَّده بالسلاحِ، ولم تكن النيةُ في قتله ولكنه أرسلَ طلقةً مدوّيةً من على رأسِهِ، وفرَّ هاربًا وتركَ زوجتهُ إلى أجلٍ غيرِ مسمّى"(سعدي، 2020، صفحة 08) ، فالروائيُّ من خلالَ هذا المقطعِ السرديِّ المتشابكِ بين الغضبِ والأعرافِ والتقاليدِ وعزَّةِ النفسِ، أرادَ أن يعكسَ لنا الألمَ ومعاناةَ المرأةِ في ظلِّ هذا التشابكِ، الذي راحَ ضحيته المرأةُ التي تحملت نتائجَ الصراعِ الذكوريِّ والعائليِّ، وخسرت والدَها وبيتها وزوجها.

كما يستدعي الروائيُّ مقطعًا سرديًّا آخرَ يظهرُ فيه ألمَ ومعاناةَ المرأةِ من قِبلِ الرجلِ حيث يُمارسُ عليها العنفَ الجسديَّ والنفسيَّ. يقولُ الروائيُّ: "فأوصت الجدةَ أحمدَ بأن يعتني بها، وألا ينهرها أبدًا، وألا يضربها مثلما يفعلُ رجالُ البوادي الذين كانوا ينظرون للمرأةِ نظرةً دونيَّةً، ومنهم من يربطُها مع الكلبِ أو الحمارِ إذا لم تقمْ بإعدادِ المعالفِ، أو أخطأتْ في تصرفٍ أو كلمةٍ (تاقت) من (رواق) الخيمةِ، أو تزينتْ بغيرِ

مناسبةٍ أو تعطَّرتْ"(سعدي، 2020، الصفحات 12-11) ، فهذا المقطعُ السرديُّ دليلٌ من الروائيِّ على أنَّ المرأةَ في تلك الفترةِ كانت تعاني من قِبلِ السلطةِ الذكوريةِ التي تفرضُ عليها التميزَ والدونيَّةَ، بالإضافةَ إلى العنفِ بشتى أنواعهِ اللفظيِّ والجسديِّ نتيجةً لأخطاءٍ لم ترتكبها عمدًا، لذلك توصي الجدةَ ابنَها بأن يعتني بها عكسَ ما يعاملُ أهلُ البوادي زوجاتِهم.

ويستذكرُ الروائيُّ أيضًا مظهرًا من مظاهرِ الألمِ والمعاناةِ الواقعِ على مستوى الظروفِ المعيشيةِ الصعبةِ والبسيطةِ التي عاشها، مما يظهرُ مرارتهُ واستياءهُ من تلك الأيامِ التي عرف فيها ألمَ ومعاناةَ المجتمعِ في الحصولِ على قوته. فيقولُ الروائيُّ في ذلكَ: "يسألني طارقٌ عن حالةِ المعيشةِ يومئذٍ، فأصارحه بأنَّه اللبنُ والخبزُ الأسمرُ، ولا نسمعُ بالخضرِ والفواكهِ إلا من السوقِ إلى السوقِ، أي مرةٍ في الأسبوعِ أو ماكانش"(سعدي، 2020، صفحة 14) ، حيث يبرز الروائي في هذا المقطع السردي الى الفقر الذي كانوا يعيشونه فاقتصارهم على اكل "اللبن والخبز الأسمر" دليل على تدني المستوى المعيشي في تلك الفترة.

كما يستدعي مشهدًا آخرَ من الذاكرةِ يجسدُ فيه الظروفَ المعيشيةَ الصعبةَ، والتي تتمثلُ في النظافةِ الصحيةِ، حيث كان المجتمعُ يعاني الكثيرَ من الأمراضِ الطفيليةِ نتيجة انعدامِ وسائلِ النظافةِ الصحيةِ وندرةِ المياه. يقولُ الروائيُّ: "كانت أسرتُنا تعاني بما في ذلك البناتُ وككلِّ الجيرانِ من البرغوثِ والصيبانِ والقملِ، وحين يذهبُ سماحةُ الوالدِ إلى سوقِ الخميسِ أو البيرينِ يقتني لنا الدواءَ، أما الصيبانُ فتجعلُ لنا أمي فاطمةُ القازَ في ثنايا شعورنا؛ فيتلاشى ويندثر"(سعدي، 2020، صفحة 14) ، يشيرُ هذا المقطعُ السرديُّ بوضوحٍ إلى المعاناةِ التي تعيشها الأسرةُ في حياتها اليوميةِ نتيجةً لانعدامِ شروطِ وضروریاتِ العنايةِ الصحيةِ، مما يسببُ لهم الألمَ والمعاناةَ وشعورهم بحالةٍ من التوترِ والقلقِ.

إلى جانب تطرُّق الروائي "سَعْدِي صَبَاح" للألمِ والمعاناةِ التي تعرّضت لها المرأةُ، والمعاناةِ التي عاشها المجتمعُ بسببِ تدنّي المستوى المعيشي الذي أثقل كاهله، نجد أنه قد سلّطَ الضوء على معاناةٍ لا تقلّ قسوةً عن تلكَ التي ذُكرتْ سابقًا، وهي ذاكرةُ الألمِ والحرمانِ والمعاناةِ التي عاشها الطفلُ في تلكَ الفترةِ، وخاصةً الطفلُ البدوي، وذلكَ من خلال الوصفِ الدقيقِ لتجربتهِ الذاتيةِ الطفوليةِ في بيئةٍ يمكن وصفها بأنها قاسيةٌ. يعرضُ الروائي صعوبةَ تنقّلهِ إلى "الكُتّاب" لتعلُّمِ وحفظِ القرآنِ الكريمِ، فيقولُ: "ويَشقُّ عليَّ أن أمتطي ظهرَ

الحمارِ لعلوّه، أولَ يومِ خميسٍ تُساعدني خضراءُ، زوجةُ عمي، على الركوبِ لأَنْطلقَ به عبرَ الرشّةِ والأوديةِ بوجوف... ولا يمكنني أن أنزلَ من على ظهرِهِ في الطريقِ خشيةَ صعوبةِ الركوبِ من جديد"(سعدي، 2020، صفحة 26) ، فالروائي يُظهرُ كيفَ أنَّ ذاكرةَ الألمِ والمعاناةِ الناتجةَ عن الطفولةِ المحرومةِ تبقى محفورةً في ذاتِ الإنسانِ مع مرورِ الزمنِ، لتُشكّلَ جزءًا من هويتهِ الذاتيةِ وتجاربِ حياتهِ. وهذا ما حدثَ مع الروائي "سَعْدِي صَبَاح"، الذي يستذكرُ ألمهُ ومعاناتهُ في التنقلِ إلى الكُتّابِ باستخدامِ وسيلةِ النقلِ المتاحةِ له آنذاك، وهي الحمار. كانَ يجدُ صعوبةً في ركوبهِ بسببِ صغرِ سنهِ وبنيتهِ التي لم تكنْ تؤهلهُ لذلكَ إلا بمساعدةِ شخصٍ آخر، وكانت زوجةُ عمهِ تُعينهُ على ذلكَ كما ذَكَرَ. وهذا يُعدُّ دليلًا على المعاناةِ اليوميةِ التي كان يواجهُها. كما أنَّ ركوبهُ الحمارَ خلّفَ لديهِ نوعًا من الخوفِ والقلقِ، حيثُ كان يشعرُ بالفزعِ إذا اضطرَّ للنزولِ من الحمارِ في الطريق، لأنه لن يجدَ من يُعينهُ على الركوبِ مجددًا.

كَما أَنَّ الرَّوَائِيَّ يَسْتَدْعِي مِنْ ذَاكِرَةِ الأَلَمِ وَالمعَانَاةِ مَا كَانَ يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ صُعُوبَاتٍ وَمَخَاطِرَ فِي تَنْقُّلِهِ "للكُتّاب"، حَيْثُ يَقُولُ فِي ذَلك: "طَارَدَتْنِي كَلْبَةٌ شَرِسَةٌ وَحَاوَلَتْ افْتِرَاسِي، إِلَّا أَنَّ الْحِمَارَ ثَارَ وَأَعْطَاهَا بِصَكَّةٍ عَلَى الْخَنْشُوشِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ، وَوَلَّتْ جَرِيحَةً تَعُوي، وَفَكَّرْتُ لَحْظَتَهَا مِنَ الْهُلَعِ أَنْ أُوَدِّعَ سَيِّ طَلْحَةَ فِي النَّجْوَى"(سعدي، 2020، صفحة 26) ، يُبْرِزُ الرَّوَائِيُّ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمَقْطَعِ السَّرْدِيِّ، الَّذِي تَمَّ اسْتِدعَاؤُهُ من ذَاكِرَةِ الأَلَمِ وَالمعَانَاةِ، عَرْضَ تَجْرِبَتِهِ الْمُؤْلِمَةَ الَّتِي تَعَكُّسُ تِلْكَ الظُّرُوفَ الصَّعْبَةَ الَّتِي كَانَ يَعيشهَا من أجل نيل العلم.

ويستمرُّ الرِّوائيُّ "سَعْدِي صَبَاح" في استدعاءِ مشاهدَ من ذاكرةِ الألمِ والمعاناة، حيثُ يبرزُ مشهدًا مفعمًا بالألمِ والمعاناة، ويُعيدُ إحياءَ لحظاتٍ صعبةٍ عاشَها حينَ انتقلَ للدّراسةِ في زاويةِ "سي بوعروج"، مشدّدًا على ما تركه ذلك من أثرٍ في ذاته، والذي أسهمَ في تشكيلِ هويّتِه. ويستحضرُ في نفوسِ القراء قسوةَ العيشِ في الزاوية، فيقول: "أولُ يومٍ أبيتُ فيهِ لوحدي بعيدًا عن مرابيعِ طفولتي وملاعبِها، كان الغروبُ رتيبًا مُحزنًا، تذكرتُ جروي وفرسي وجحشي وبكيتُ البكاءَ المر. وكان عشائي من أولِ ليلةٍ مع الدراويش وطغمةِ الطلبةِ البربوشةِ بالزيتِ النباتيّ والحليبِ الاصطناعيّ والبصل، وتلك هي عيشةُ ذلكَ الزَّمنِ ببساطتِه"(سعدي، 2020، صفحة 41) ، فالروائيُّ سعدي صباح يُعكسُ شعورَهُ بالفقد، حيثُ افتقدَ

الدفءَ العائليَّ وأصبحَ يشعرُ بالوحدةِ والحزنِ نتيجةَ الظروفِ القاسيةِ التي عرفها في الزاوية منذُ الليلةِ الأولى. فهو يستذكرُ تجربةً طفوليةً مؤلمةً تعبرُ عن قسوةٍ وألمِ العيشِ خارجَ البيت .

ويستدعي أيضًا مشهدًا آخرَ من الذاكرةِ يُعبرُ فيه بوضوحٍ عن الألمِ والقسوةِ التي تعرَّضَ لها أثناءَ التعلُّمِ في الزاوية، حيثُ يقول: "بِتُّ على حصيرِ الحلفاءِ ونهضتُ بعدَ انبلاجِ الفجر... دخلتُ الكتَّاب... كان معلِّمُ القرآنِ اسمُه سي الدَّراجي... له مزاجٌ جعلني أنفرُ منه، قرأتُ حالتَه بفطرتي، رجلٌ عصبيٌّ يضربُ بلا سبب، ويُعاملُ الطلبةَ حسب الأمزجةِ وحسب مستوى الأولياءِ من حيثُ الوجاهةِ والحالةِ المعنويةِ والمادية"(سعدي، 2020، الصفحات 42-41) ، فهذا المقطعُ السرديُّ الذي استدعاهُ الرّوائيُّ سعدي صباح يُظهرُ بوضوحٍ تجربته الطفوليةَ القاسيةَ من خلالِ استعراضِه للظروفِ الاجتماعيةِ المزريةِ في الزاوية، بالإضافةِ إلى مزاجِ وقسوةِ المعلمِ على المتعلمين. وقد تركَ ذلك أثرًا عميقًا في ذاكرته، حتى أنه شبَّهَ تأقلمَهُ في الزاوية بتأقلمِ المساجينِ في السجن، ويظهرُ ذلك في قوله: "تأقلمتُ مع الزاوية كمن تأقلمَ مع سجنِ الكدية"(سعدي، 2020، صفحة 44) ، إذ يشيرُ بهذا المقطعِ السرديّ إلى استسلامِهِ للواقعِ وتكيفِهِ معه على الرغمِ من الألمِ والمعاناةِ التي تعرضَ لها، مما يعكسُ شعورَهُ بالقنوطِ واليأسِ، وهذهِ تدلُّ على تجربةٍ قاسيةٍ عاشها الروائيُّ في طفولتِه.

5. خَاتِمَة:

وفي ختامِ هذا البحث، يمكنُ استخلاصُ أبرزِ النتائجِ التي توصلنا إليها من خلالِ دراسةِ استدعاءِ الذاكرةِ في الروايةِ السيريةِ "حَدِيثُ القبَّرة " لسعدي صباح، والمتمثلةِ في النقاطِ التاليةِ:

- تَعُدُّ الذاكرةُ عنصرًا أساسيًّا في الروايةِ عامةً، والروايةِ السيريةِ خاصةً، حيثُ تعملُ على تحريكِ الأحداثِ وإبرازِ التجاربِ الذاتيةِ للشخصياتِ.
- استدعى الروائيُّ سعدي صباح الذاكرةَ التاريخيةَ لتجسيدِ ما عاناهُ الشعبُ الجزائريُّ من الاستعمارِ الفرنسيّ، حيثُ وثقَ الروائيُّ الآثارَ التي تركها الاستعمارُ في الحياةِ اليوميةِ وفي نفوسِ الشعبِ. ويُعدُّ هذا الاستدعاءُ للتاريخِ توثيقًا وتعزيزًا للوعيِ بالتضحياتِ والنضالِ الذي خاضَهُ الشعبُ الجزائريُّ من أجلِ نيلِ الحريةِ والاستقلالِ.

- يعتمدُ الروائيُّ سعدي صباح على استدعاءِ الذاكرةِ الشعبيةِ بشقيها الماديّ واللاماديّ، باعتبارِها جزءًا من هويةِ الشعبِ وثقافتِهِ، مما يُعززُ قيمةَ التراثِ في الحفاظِ على الهويةِ الجماعيةِ.
- يُبرزُ الروائيُّ سعدي صباح بوضوحٍ استدعاءَهُ لذاكرةِ الألمِ والمعاناةِ في روايةِ "حَدِيثُ القبَّرة "، حيثُ تطرقَ إلى ما عانتْهُ المرأةُ من عنفٍ جسديٍّ ومعنويٍّ بسببِ السلطةِ الذكوريةِ، بالإضافةِ إلى استحضارِهِ للمعاناةِ التي عرفَها الشعبُ من صعوبةٍ في المستوى المعيشيّ، وتدهورِ الأوضاعِ الصحيةِ، وغيابِ شروطِ النظافةِ. كما أظهرَ معاناةَ الطفلِ البدويّ من خلالِ حديثِه عن تجربتِه التي تعكسُ صعوبةَ تلقيهِ للتعليمِ.

وبهذا الشكلِ يمكنُ القولُ أنَّ الروائيَّ سعدي صباح قد أبدعَ في استدعاءِه للذاكرةِ بمختلفِ أبعادِها، معبرًا عن مجموعةٍ من التجاربِ التي عاشَها. فكانتِ الذاكرةُ بمثابةِ أداةٍ قويةٍ في توثيقِ رحلتِه الإنسانيةِ المعقدةِ.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

أحمد مختار عمر. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة –مصر: عالم الكتب.

البوعبيدي مُحَمَّد. (2021). حكايات الأمثال الشعبية المغربية التراثية (المجلد د ط). القاهرة–مصر: ببلومانيا للنشر والتوزيع.

الساوري بوشعيب. (2017). الرحلة والنسق دراسة في انتاج النص الرحلي رحلة ابن فضلان نموذجا. لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

صباح سعدي. (2020). حديث القبرة (سيرة). بورج بوعريريج، الجزائر: دار خيال للنشر والترجمة.

عبد الحكيم شوقي. (2015). الرجل والمرأة في التراث الشعبي. القاهرة–مصر: مؤسسة الهنداوي.

عبد الرؤوف طارق، وعيسى المصريإيهاب. (2020). الذاكرة والتذكر والنسيان: طرق تنشيط الذاكرة وأنواعها. جمهورية مصر العربية: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

مصطفى ابراهيم،وآخرون. (د ت). المعجم الوسيط. تركيا: المكتبة الإسلامية والنشر.

الأطروحات:

ناصري رملة. (2021/2022). خطاب الذاكرة في الرواية النسائية المكتوبة بالعربية من 1993 إلى 2019 –مقاربةموضوعاتي–قالمة، الجزائر: كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والآدب العربي، جامعة 8 ماي 1945، أطروحة دكتوراه.

المقالات:

عاشور شفيقة. (2021). اشتغال خطاب الذاكرة في رواية " بحر الصمت" ليسمينة صالح. مجلة التأويل وتحليل الخطاب، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، الجزائر، المجلد 02، العدد 01، الصفحات 195–204.

عطية فاطمة الزهراء. (2021). السرد السير ذاتي في رواية سيرة شغف لربيعة جلطي. مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، المركز الجامعي بريكة، الجزائر، المجلد 04، العدد 02(815–814)، الصفحات 812–828.

عدلي رشا. (سبتمبر, 2017). رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيل. مجلة العربي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة، العدد 706، صفحة ادب ونقد.

7. ملاحق:

– السيرة الذاتية، والأدبية للكاتب " سعدي صباح"

سَعدِي صَبَاح: سعدي صباح هو شاعر وقاص وروائي وكاتب جزائري وُلد سنة 1955 في مدينة عين وسارة، ولاية الجلفة. بدأ مسيرته الأدبية مع نظم الشعر الملحون، حيث تألق بإبداعه في هذا الطابع التراثي الشعبي، لينتقل بعدها إلى الكتابة السردية، مبدعًا في مجال القصة والرواية وأدب السيرة.

وقد أثمر سعيدي صباح على مدار مسيرته الأدبية العديد من المنجزات السردية التي عكست جمالية الأسلوب وقوة السرد، ونال إثر ذلك العديد من الجوائز والتكريمات التي كانت شهادة حية على تفوقه وإبداعه وبراعته في الكتابة السردية، حيث صار اسمه يتلألأ في سماء الساحة الأدبية الجزائرية والعربية كأحد مبدعيها البارزين، وترك صورة خالدة في ذاكرة القراء والباحثين والنقاد. ومن بين هذه الإنجازات والجوائز نذكر ما يلي

1. المنجَزات:

- عرس في الزنزانة (مجموعة قصصية)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 2019 م.
- سر البيت المفتوح (مجموعة قصصية).
- عرس الشيطان (مجموعة قصصية).
- حديث القبرة (رواية السيرة)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 2020 م.

2. الجوائزُ وَالتَّكْرِيمَاتُ:

- الجائزة الوطنية على هامش الملتقى المغاربي بوادي سوف عن قصته «أسير الخشخاش».
- جائزة القلم الذهبي في القصة القصيرة في مسابقة الشروق الوطنية سنة 2008.
- جائزة ابن هدوقة على هامش الملتقى الدولي في سنة 2010 عن قصته "حين سقطت قمر".
- جائزة الاستحقاق الدولية لناجي نعمان بلبنان في سنة 2012 عن قصته "سر البيت المفتوح".
- الفائزة بالمرتبة الأولى بمجموعة قصصية «عرس الشيطان».